تفسير ابن كثير

يقول تعالى وإعلام { من ا ورسوله } وتقدم وإنذار إلى الناس { يوم الحج الأكبر } وهو يوم النحر الذي هو أفضل أيام المناسك وأظهرها وأكثرها جمعا { أن ا بريء من المشركين ورسوله } أي بريء منهم أيضا ثم دعاهم إلى التوبة إليه فقال { فإن تبتم } أي مما أنتم فيه من الشرك والضلال { فهو خير لكم وإن توليتم } أي استمررتم على ما أنتم عليه { فاعلموا أنكم غير معجزي ا } بل هو قادر عليكم وأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته { وبشر الذين كفروا بعذاب أليم } أي في الدنيا بالخزي والنكال وفي الاخرة بالمقامع والأغلال قال البخاري C : حدثنا عبد ا بن يوسف حدثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر Bه في تلك الحجة في المؤذنين الذين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال حميد : ثم أردف النبي صلى ا عليه وسلّم بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر ببراءة وأن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ورواه البخاري أيضا : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ويوم الحج الأكبر يوم النحر وإنما قيل الأكبر من أجل قول الناس الحج الأصغر فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول ا صلى ا عليه وسلّم مشرك هذا لفظ البخاري في كتاب الجهاد وقال عبد الرزاق : عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة Bه في قوله : { براءة من ا ورسوله } قال : لما كان النبي صلى ا عليه وسلّم زمن حنين اعتمر من الجعرانة ثم أمر أبا بكر على تلك الحجة قال معمر : قال الزهري : وكان أبو هريرة يحدث أن أبا بكر أمر أبا هريرة أن يؤذن ببراءة في حجة أبي بكر قال أبو هريرة : ثم أتبعنا النبي صلى ا عليه وسلّم عليا وأمره أن يؤذن ببراءة وأبو بكر على الموسم كما هو أو قال على هيئته وهذا السياق فيه غرابة من جهة أن أمير الحج كان سنة عمرة الجعرانة إنما هو عتاب بن أسيد فأما أبو بكر إنما كان أميرا سنة تسع .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن مغيرة عن الشعبي عن محرر بن أبي هريرة عن أبيه قال : كنت مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول ا صلى ا عليه وسلّم إلى أهل مكة ببراءة فقال : ما كنتم تنادون ؟ قال : كنا ننادي أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول ا صلى ا عليه وسلّم عهد فإن أجله

أو مدته إلى أربعة أشهر فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن ا بريء من المشركين ورسوله ولا يحج هذا البيت بعد عامنا هذا مشرك قال : فكنت أنادي حتى صحل صوتي وقال الشعبي : حدثني محرر بن أبي هريرة عن أبيه قال : كنت مع علي بن أبي طالب Bه حين بعثه النبي صلى ا عليه وسلّم ينادي فكان إذا صحل ناديت فقلت : بأي شيء كنتم تنادون ؟ قال بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول ا صلى ا عليه وسلّم فعهده إلى مدته ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك رواه ابن جرير من غير وجه عن الشعبي ورواه شعبة عن مغيرة عن الشعبي به إلا أنه قال : ومن كان بينه وبين رسول ا صلى ا عليه وسلّم عهد فعهده إلى أربعة أشهر وذكر تمام الحديث قال ابن جرير : وأخشى أن يكون وهما من بعض نقلته لأن الأخبار متظاهرة في الأجل بخلافه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد عن سماك عن أنس بن مالك Bه أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم بعثه ببراءة مع أبي بكر فلما بلغ ذا الحليفة قال : [لا يبلغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي] فبعث بها مع علي بن أبي طالب Bه ورواه الترمذي في التفسير : عن بندار عن عفان وعبد الصمد كلاهما عن حماد بن سلمة به ثم قال : حسن غريب من حديث أنس Bه وقال عبد ا بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن سليمان ـ لوين ـ حدثنا محمد بن جابر عن سماك عن حنش عن علي Bه قال : لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي صلى ا عليه وسلّم دعا النبي صلى ا عليه وسلّم أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ثم دعاني فقال : [أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب إلى أهل مكة فاقرأه عليهم] فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر إلى النبي صلى ا عليه وسلّم فقال : يا رسول ا نزل في شيء ؟ فقال [لا ولكن جبريل جاءني فقال : لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك] هذا إسناد فيه ضعف وليس المراد أن أبا بكر Bه رجع من فوره بل بعد قضائه للمناسك التي أمره عليها رسول ا صلى ا عليه وسلّم كما جاء مبينا في الرواية الأخرى وقال عبد ا أيضا : حدثني أبو بكر حدثنا عمرو بن حماد عن أسباط بن نصر عن سماك عن حنش عن علي Bه أن رسول ا A حين بعثه ببراءة قال : يا نبي ا إني لست باللسن ولا بالخطيب قال : [لا بد لي أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت] قال : فإن كان ولا بد فسأذهب أنا قال : [انطلق فإن ا يثبت لسانك ويهدي قلبك] قال : ثم وضع يده على فيه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع رجل من همدان سألنا عليا بأي شيء بعثت ؟ يعني يوم بعثه النبي A مع أبي بكر في الحجة قال : بعثت بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي A عهد فعهده إلى مدته ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا ورواه الترمذي عن قلابة عن سفيان بن عيينة وقال : حسن صحيح كذا قال ورواه شعبة عن أبي إسحاق فقال : زيد بن يثيع وهم فيه

ورواه الثوري عن أبي إسحاق عن بعض أصحابه عن علي Bه وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع عن علي قال : بعثني رسول ا A حين أنزلت براءة بأربع : أن لا يطوف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين رسول ا A عهد فهو إلى مدته ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الأعلى عن ابن ثور عن معمر عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال : أمرت بأربع فذكره وقال إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيغ قال : نزلت براءة فبعث رسول ا A أبا بكر ثم أرسل عليا فأخذها فلما رجع أبو بكر قال : نزل في شيء ؟ قال : [لا ولكن أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي] فانطلق إلى أهل مكة فقام فيهم بأربع لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول ا A عهد فعهده إلى مدته وقال محمد بن إسحاق عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي قال : لما نزلت براءة على رسول ا A وقد كان بعث أبا بكر ليقيم الحج للناس فقيل يا رسول ا : لو بعثت إلى أبي بكر ؟ فقال : [لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي] ثم دعا عليا فقال [اذهب بهذه القصة من سورة براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول ا A فهو له إلى مدته] فخرج علي Bه على ناقة رسول ا A العضباء حتى أدرك أبا بكر في الطريق فلما رآه أبو بكر قال : أمير أو مأمور ؟ فقال بل مأمور ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره رسول ا A فقال : يا أيها الناس إنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول ا A فهو إلى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ثم قدما على رسول ا A فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد ا بن عبد الحكم أخبرنا أبو زرعة وهب ا بن راشد أخبرنا حيوة بن شريح أخبرنا ابن صخر أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول : سألت عليا عن يوم الحج الأكبر فقال : إن رسول ا A بعث أبا بكر بن أبي قحافة يقيم للناس الحج وبعثني معه بأربعين آية من براءة حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة فلما قضى خطبته التفت إلي فقال : قم يا علي فأد رسالة رسول ا A فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صدرنا فأتينا منى فرميت الجمرة ونحرت البدنة ثم حلقت رأسي وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا كلهم حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة فطفت أتتبع بها الفساطيط أقرأها عليهم فمن ثم أخال حسبتم أنه يوم النحر ألا وهو يوم

عرفة وقال عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحاق سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الأكبر قال : يوم عرفة فقلت : أمن عندك أم من أصحاب محمد A ؟ قال : كل في ذلك وقال عبد الرزاق أيضا : عن ابن جريج عن عطاء قال : يوم الحج الأكبر يوم عرفة وقال عمر بن الوليد الشني : حدثنا شهاب بن عباد البصري عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : هذا يوم عرفة هذا يوم الحج الأكبر فلا يصومنه أحد قال : فحججت بعد أبي فأتيت المدينة فسألت عن أفضل أهلها فقالوا : سعيد بن المسيب فأتيته فقلت : إني سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا سعيد بن المسيب فأخبرني عن صوم يوم عرفة فقال : أخبرك عمن هو أفضل مني مائة ضعف عمر أو ابن عمر كان ينهى عن صومه ويقول هو يوم الحج الأكبر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وهكذا روي عن ابن عباس وعبد ا بن الزبير ومجاهد وعكرمة وطاووس أنهم قالوا : يوم عرفة هو يوم الحج الأكبر .

وقد ورد فيه حديث مرسل رواه ابن جريج أخبرت عن محمد بن قيس عن ابن مخرمة أن رسول ا A خطب يوم عرفة فقال : [هذا يوم الحج الأكبر] وروي من وجه آخر : عن ابن جريج عن محمد بن قيس عن المسور بن مخرمة عن رسول ا A أنه خطبهم بعرفات فحمد ا وأثنى عليه ثم قال : [أما بعد فإن هذا يوم الحج الأكبر] والقول الثاني أنه يوم النحر قال هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن علي Bه قال : يوم الحج الأكبر يوم النحر وقال إسحاق السبيعي عن الحارث الأعور : سألت عليا Bه عن يوم الحج الأكبر فقال : هو يوم النحر وقال شعبة عن الحكم سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن علي Bه أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبانة فجاء رجل فأخذ بلجام دابته فسأله عن يوم الحج الأكبر فقال هو يومك هذا خل سبيلها وقال عبد الرزاق : عن سفيان عن شعبة عن عبد الملك بن عمير عن عبد ا بن أبي أوفى أنه قال : يوم الحج الأكبر يوم النحر وروى شعبة وغيره عن عبد الملك بن عمير به نحوه وهكذا رواه هشيم وغيره عن الشيباني عن عبد ا بن أبي أوفى وقال الأعمش عن عبد ا بن سنان قال : خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير فقال : هذا يوم الأضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الأكبر وقال حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : الحج الأكبر يوم النحر وكذا روي عن أبي جحيفة وسعيد بن جبير وعبد ا بن شداد بن الهاد ونافع بن جبير بن مطعم والشعبي وإبراهيم النخعي ومجاهد وعكرمة وأبي جعفر الباقر والزهري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا : يوم الحج الأكبر هو يوم النحر واختاره ابن جرير وقد تقدم الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخاري أن أبا بكر بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى وقد ورد في ذلك أحاديث أخر كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثني سهل بن محمد الحساني حدثنا أبو جابر الحرمي حدثنا هشام بن الغازي الجرشي عن نافع عن ابن عمر قال : وقف رسول ا A يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال : [هذا يوم الحج الأكبر

] وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أبي جابر واسمه محمد بن عبد الملك به ورواه ابن مردويه أيضا من حديث الوليد بن مسلم عن هشام بن الغازي به ثم رواه من حديث سعيد بن عبد العزيز عن نافع به وقال شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن رجل من أصحاب النبي A قال : قام فينا رسول ا A على ناقة حمراء مخضرمة فقال : [أتدرون أي يوم يومكم هذا ؟] قالوا : يوم النحر قال : [صدقتم يوم الحج الأكبر] .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن المقدام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال : لما كان ذلك اليوم قعد رسول ا A على بعير له وأخذ الناس بخطامه أو زمامه فقال : [أي يوم هذا ؟] قال : فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه فقال [أليس هذا يوم الحج الأكبر ؟] وهذا إسناد صحيح وأصله مخرج في الصحيح وقال أبو الأحوص عن شبيب بن غرقدة عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال : سمعت رسول ا A في حجة الوداع فقال : [أي يوم هذا ؟] فقالوا : اليوم الحج الأكبر وعن سعيد بن المسيب أنه قال : يوم الحج الأكبر اليوم الثاني من يوم النحر رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد أيضا : يوم الحج الأكبر أيام الحج كلها وكذا قال أبو عبيد قال سفيان : يوم الحج ويوم الجمل ويوم صفين أي أيامه كلها وقال سهل السراج : سئل الحسن البصري عن يوم الحج الأكبر ؟ فقال : ما لكم وللحج الأكبر ذاك عام حج فيه أبو بكر الذي استخلفه رسول ا A فحج بالناس رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن ابن عون سألت محمدا يعني ابن سيرين عن يوم الحج الأكبر فقال : كان يوما وافق فيه حج رسول ا A وحج أهل الوبر